قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

س: ما دليل اشتراط (القَبول) من الكتاب والسُّنَّة؟

ج: قال الله تَعَالَىٰ فِي شـأن مَن لم يَقبلْها: ﴿۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصَّافَّات] الآيات.

وقال النَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ؛ كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا؛ فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ المَاءَ؛ فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ؛ فَنَفَعَ اللهُ بِهِ النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى؛ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُٱللَّهُ سؤالًا آخر يتعلَّق بشرطٍ آخر مِن شروط (لا إله إلَّا الله)؛ وهو (القَبول)؛ فسأل عن (دليل اشتراط (القَبول) من الكتاب والسُّنَّة).

والمراد بـ(القبول): الإذعان؛ بأن يكون العبد مذعِنًا خاضعًا لِما تضمَّنته (لا إله إلَّا الله)، وذلك يُنافي رَدَّها؛ فإنَّ رادَّ (لا إله إلَّا الله) لا يكون مذعِنًا خاضعًا؛ بل هو مخالِفٌ مغالِبٌ.

وأورد المصنِّف في جواب السُّؤال المذكور قول الله عَزَّوَجَلَّ: (﴿۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾[الصَّافَّات:٢٢]) الآية وما بعدها.

ودلالته على ما ذكره: في قوله: (﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصَّافَّات])؛ فذَمَّهم باستكبارهم، والمستكبِر يردُّ الحقَّ الَّذي جاء إليه، والمؤمن بخلافه؛ فإنَّه يقبَل الحقَّ الَّذي خُوطِب به.

فتكون الآية دالَّةً على اشتراط (القبول)؛ لأنَّها في ذمِّ أهل الرَّدِّ؛ فإذا ذُمُّوا لردِّها فـ (القبول) شرطٌ لـ (لا إله إلَّا الله).

ثمَّ ذَكر حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الصَّحيحين» في أقسام النَّاس في ملاقاة ما جاء به النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن الهدى والعِلم؛ **إذ جَعلهم ثلاثة أصنافٍ:**

* **فالصِّنف الأوَّل:** الَّذين انتفعوا بهذا الهُدى والعِلم؛ فهم بمنزلة الغيث الكثير أصاب أرضًا فكان منها نَقِيَّةٌ - يعني أرضًا بيضاء - قَبِلت الماء وأنبتت الكلأَ والعشبَ الكثيرَ.

* **والصِّنف الثَّاني:** الذين هم بمنزلة الأجادب؛ وهي الأرض الَّتي تُمسِك الماء؛ فيستقِرُّ فيها؛ فينتفع النَّاس بالورود عليه والاستقاء منه.

* **والصِّنف الثَّالث:** الَّذين هم كالقيعان؛ وهي الأرض المستوية الَّتي لا تُمسِك ماءً ولا تُنبِت كلأً.

والمذكور في الحديث هو حال الخلق في قبول الشَّرع ممَّا جاء به النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأُشير إليه فيه بقوله: («**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ**»).

وهذا الحديث حديثٌ عظيمٌ، ولابن القيِّم في بيانه كلامٌ نافعٌ في «الوابل الصَّيِّب»، لا يستغني عنه طالب العِلم؛ إذ لم يأتِ غيره بنظيره؛ فإنَّ شُرَّاح الحديث لم يبلغوا في بيان معانيه ما أحسنَ فيه ابن القيِّم في الكتاب المذكور.

وشرط (القبول) غير شرط(الانقياد) المتقدِّم ذكرُه؛ فإنَّ بينهما فرقًا.

فبين (القبول) و(الانقياد) ثلاثة فروقٍ:

- **الأوَّل**: أنَّ (القبول) يتعلَّق بالظَّاهر، و(الانقياد) يتعلَّق بالباطن.
- **والثَّاني**: أنَّ (القبول) يكون عند تلقِّي خطاب الشَّرع، ويكون (الانقياد) بعده اتِّباعًا له.
- **والثَّالث**: أنَّ (القبول) قد يشتمل معه القلب على منازعةٍ تحتاج إلى مجاهَدةٍ، وأمَّا (الانقياد) فيخلو معه القلب مِن المنازعة.

وهما مذكوران في قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النِّساء]؛ فإنَّ قوله: ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾إشارةٌ إلى (القبول)، وقوله بعده: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ إعلامٌ بأنَّ القبول بحُكم الله قد يُلامسَ القلبَ معه منازعةٌ؛ فلا يكمل إيمان العبد حتَّى يتخلَّص مِن تلك المنازعة.

ثمَّ أشار إلى تمام الحال في (الانقياد) بقوله: ﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾؛ فإنَّ التَّسليم هو الانقياد التَّامُّ.

ولهذا احتُفِل في القرآن في مواضعَ منه بـ(التَّسليم)؛ كالآية المذكورة، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [النِّساء:١٢٥]، في نظائرَ لها؛ لأنَّ التَّسليمَ هو

الغاية الَّتي تنتهي إليها النُّفوس في تلقِّي خطاب الشَّـرع؛ فيَتمُّ انقيادها وخضـوعها لله عَزَّوَجَلَّ بتسليمها.

فإن قال قائلٌ: لماذا نقول: (الإسـلام هو الاسـتسـلام لله بالتَّوحيد)، ولا نقول: (الإسلام هو التَّسليم لله بالتَّوحيد)؟

والجواب: أنَّه مع الاحتفال المذكور في خطاب الشَّـرع - ولا سِـيَّما القرآن - بـ (التَّسليم)؛ فإنَّ أهل العِلم دَرجوا على بيان حقيقة الإسلام برجوعه إلى (الاستسلام)؛ لأنَّه مقدِّمة التَّسليم؛ فـ (الاستسلام) ابتداءٌ، و(التَّسليم) انتهاءٌ.

فالمسـلمون يتحقَّق لهم (الاسـتسـلام) لله بالتَّوحيد بدخولهم في الإسـلام، وأمَّا (التَّسليم) فلا يتحقَّق لهم إلَّا بتمكُّن الإسلام في قلوبهم.

- فـ **(التَّسليم)** هو الحال الكُملى الَّتي يُهيِّئ الله عَزَّوَجَلَّ لها مَن يشاء مِن خَلقه.
- **وأمَّا (الاستسلام)** فهو أصلٌ كلِّيٌّ يشترك فيه المسلمون؛ لأنَّه مقدِّمة الإسلام الَّتي يحصل بها.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

س: ما دليل اشتراط (الإخلاص) من الكتاب والسُّنَّة؟

ج: قال الله تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[الزُّمر:٣].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾[الزُّمر].

وقال النَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي: مَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**».

وقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ سؤالًا آخر يتعلَّق بشرطٍ آخر مِن شروط (لا إله إلَّا الله)؛ وهو (الإخلاص)؛ فقال: (ما دليل اشتراط (الإخلاص) من الكتاب والسُّنَّة؟).

و(**الإخلاص**) - كما تقدَّم - هو تصفِية القلب مِن إرادة غير الله.

والإخلاص في (لا إله إلَّا الله) هو بوقوع تلك الشَّهادة مع صفاء قلب العبد مِن إرادة غير الله.

وذَكر المصنِّف أربعة أدلَّةٍ تبيِّن ذلك:

فالأوَّل: قوله تَعَالَىٰ: (﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[الزُّمر:٣]) أي الصَّافي مِن كلِّ شائبةٍ؛ بإرادة الله وحدَه.

والثَّاني: قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزُّمر] أي على الحال المذكورة مِن تجريد الإرادة لله وحده.

والدَّليل الثَّالث: قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: («**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي**») الحديث. رواه البخاريُّ.

ودلالته على ما أراده المصنِّف: في قوله: («**خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»).

والرَّابع: قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: («**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ**») الحديثَ. رواه البخاريُّ ومسلمٌ؛ فهو متَّفقٌ عليه.

ودلالته على ما قصده: في قوله: («**يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»)؛ فإنَّ ابتغاء وجه الله عَزَّوَجَلَّ يكون بتوحيد المراد؛ وهذا هو الإخلاص.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

س: ما دليل (الصِّدق) من الكتاب والسُّنَّة؟

ج: قال الله تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت] إلى آخر الآيات.

وقال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ؛ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ**».

وقال للأعرابيِّ الَّذي عَلَّمه شرائعَ الإسلام إلى أن قال: والله لا أَزِيدُ عليها، ولا أَنْقُصُ منها، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ سؤالًا آخر يتعلَّق بشرطٍ آخر مِن شروط (لا إله إلَّا الله)؛ هو (الصِّدق)؛ فقال: (ما دليل (الصِّدق) من الكتاب والسُّنَّة؟).

والمراد بـ (الصِّدق) هنا: توحيد الإرادة في شهادة (ألَّا إله إلَّا الله)؛ بألَّا يكون في القلب إرادةٌ أخرى تُزاحمها وتقطع عن محبوبات الله ومَراضيه.

وحقيقته: أن يكون اللِّسان مواطئًا لِما في القلب، ويظهر ذلك على الجوارح بعمل العبد بما يوافقها.

وذَكر في تحقيق ذلك ثلاثة أدلَّةٍ:

فالدَّليل الأوَّل: قوله تَعَالَىٰ: (﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ ۝٢﴾[العنكبوت]) الآية.

ودلالته على ما ذكره: في قوله تَعَالَىٰ: (﴿أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾) مع قوله: (﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾)؛ فإنَّ الإيمان هو قول (لا إله إلَّا الله)، والمفلِح في قولها هو الصَّادق؛ ولذلك ينجو في فتنته الَّتي يُفتَن فيها.

والدَّليل الثَّاني: حديثٌ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه التَّصريح بـــ(الصِّدق) في قوله: («**صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ**»)، مع قوله في أوَّله: («**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»). متَّفقٌ عليه.

وأمَّا الدَّليل الثَّالث - وهو في «الصَّحيحين» أيضًا -: ففيه التَّصريح بـــ(الصِّدق) في قوله: («**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**») يعني أفلح إن كان صادقًا فيما التزمه من هذه الشَّرائع، وأعظمُها: شهادة ألَّا إله إلَّا الله.

وسبق أن عرفتَ أنَّ (الإخلاص) يتعلَّق بتوحيد المراد، وأنَّ (الصِّدق) يتعلَّق بتوحيد الإرادة؛ وهذا هو **الفرق بين (الصِّدق) و(الإخلاص)**:

- فـ**(الإخلاص)**: توحيد المراد.
- و**(الصِّدق)**: توحيد الإرادة.

فالمخلِص يتوجَّه إلى الله وحده.

والصَّادق لا يخلط إرادتَه محبوباتِ الله بغيرَها [1].

---

(١) إلى هنا تمام المجلس الثَّالث، وكان بعد المغرب ليلة السَّبت الثَّاني والعشرين من ربيعٍ الآخِر، سنة ثلاثٍ وأربعين بعد الأربعمائة والألف، ومدَّتُه: ساعةٌ ودقيقتان.